ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Motives Behind Western Interest in Iraqi Archaeological Excavations in the 19th and 20th Centuries: A Historical Study

Hussein Hamid Jassim

Tikrit University/ College of Education for Human Sciences

* *Corresponding author: E-mail* : hussein.hamid105@tu.edu.iq

***Keywords*:**
Mesopotamia
excavation
archaeology
historical texts
Assyriology

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 3 Mar 2026
Received in revised form 25 Apr 2026
Accepted 27 May 2026
Final Proofreading 29 Sept 2026
Available online 30 Sept 2026
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

This critical historical study focuses on the Western expeditions that arrived in Mesopotamia during the nineteenth and twentieth centuries to carry out excavations and recover Iraqi antiquities. The study seeks to identify the motives behind the West's interest in undertaking archaeological research and excavations during those two periods, as well as the ideas and principles guided by Western researchers. It also aims to analyse the political circumstances that influenced the course of foreign expeditions to Iraq. The problem addressed by this study stems from the prevalence of a misguided interpretation of traditional historical writings, which have overlooked the political dimensions of excavation operations in Mesopotamia; these writings have led to the perception that archaeological excavation was merely a scientific passion for exploration on the part of the West. Hence, this study has been undertaken to shed light on the hidden truths regarding archaeological excavations, particularly in terms of the religious ideas, objectives and geopolitical interests pursued by the colonial powers. This study aims to provide researchers with up-to-date critical documentation enabling them to understand the history of Mesopotamia, focusing on the plundering of ancient historical artifacts, which evolved from the scattered and unorganised consular methods of the nineteenth century to a systematic, institutionalised approach under occupation in the twentieth century, when strict laws such as the 'Division Law' were imposed. The study indicates that the Western approach contributed to the establishment of a discipline known as 'Assyriology', and that this discipline resulted in the destruction of archaeological sites, forced displacement and the erasure of the memory of Mesopotamia. The study recommends the need for sustained critical review to deconstruct the colonial narratives established by 'genealogy', the discipline of archaeology in the ancient Near East.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.33.9.2.2026.10

دوافع الاهتمام الغربي بالتنقيب عن الأثار العراقية في القرنين التاسع عشر والعشرين (دراسة تاريخية)

حسين حميد جاسم/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

الخلاصة:

ركزت هذه الدراسة التاريخية التحليلية على البعثات الغربية التي وصلت إلى العراق خلال القرنين (التاسع عشر والعشرون) من أجل التنقيب واستخراج الآثار العراقية على ايديهم، وتسعى الدراسة إلى معرفة الدوافع وراء اهتمام بعض الدول الغربية التي أولت اهتمامها بالآثار العراقية وأرسلت بعثات تنقيبية منها بريطانيا, وفرنسا, والولايات المتحدة الأمريكية, وألمانيا بتولي عمليات البحث والتنقيب عن الآثار خلال تلك المدة، فضلاً عن الافكار والمبادئ التي تم توجيهها من قبل الباحثين الغربيين، كما تهدف هذه الدراسية إلى تحليل الاوضاع السياسية التي أثرت على مسار البعثات الأجنبية تلقاء العراق.

وتتمثل مشكلة الدراسة من خلال هيمنة التفسير الخاطئ للكتابات التاريخية التقليدية التي تغافلت عن الابعاد السياسية لعمليات التنقيب في العراق, حيث تهيأ لهم أن التنقيب عن الآثار مجرد شغف علمي بالاستكشاف فقط من قبل الغرب, ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتوضيح الحقائق المخفية عن تنقيب الآثار من جهة الأفكار والاهداف الدينية والمصالح الجيوسياسية التي سعت لها الدول الاستعمارية.

إن هذه الدراسة تهدف إلى إمداد الباحثين بوجهة نظر حديثة تتيح لهم معرفة تاريخ بلاد الرفدين، إذ تركز على نهب الآثار التاريخية بالأساليب القنصلية المبعثرة غير المنظمة في القرن (التاسع عشر)، إلى أسلوب مؤسسي منظم في ظل الاحتلال البريطاني في القرن العشرين، حيث فُرضت قوانين صارمة مثل قانون (القسمة), وأشارت الدراسة إلى أن النهج الغربي أسهم في تأسيس حركة تعرف بـ(علم الاشوريات)، وأسفر عن تلك الحركة تدمير المواقع الاثرية، وتوصي الدراسة بضرورة المراجعة النقدية المستدامة لتفكيك المقولات الاستعمارية التي أسسها, علم الآثار في الشرق الأدنى القديم.

الكلمات المفتاحية: بلاد الرافدين – التنقيب – الآثار –الكتاب التاريخية – علم الأشوريات

مقدمة:

تجسد العراق بؤرةً حضارية أدت دوراً هاماً عبر التاريخ، انعكست تأثيراتها على الاقاليم المحيطة بها، مما جعلها محط أنظار واهتمام بعض الدول الغربية، لاسيما بعد النهضة الأوروبية, ولم يقتصر اهتمام الغرب على الاستكشافات والتنقيب عن الآثار العراقية فقط، إذ اغتنمت هذه الفرصة لدعم أبعاده الأيدولوجية والسياسية؛ فاستغلوا رحلتهم عن كشف وتنقيب الاثار في توطين المرويات التوراتية والنصوص الكلاسيكية من أجل تعبيد الطموحات الاستعمارية.

فقد أعرب الأركيولوجي (علم الآثار) في مطلع القرن العشرون عن تحوله إلى البنيوي والمؤسساتي، والذي تزامن مع غياب الممارسات الفردية العشوائية في القرن التاسع عشر، مما استدعى الأمر إلى

المقاربات الاستشراقية والأركيولوجية في العراق للمراجعة النقدية من اجل تميز بين شغف الكشف العلمي والاجندات الاستعمارية.

إن مشكلة الدراسة الحالية هي الفجوة المعرفية في الادبيات التاريخية تختزل الفعاليات الاثرية الغربية في العراق كشغف الكشوفات العلمية بصورة محايدة دون الالتفات إلى الدور الذي أدته تلك الكشوفات في مؤازرة تحقيق اهدافهم الخفية الدينية والطموحات الاستعمارية.

تبين لنا فرضية هذه الدراسة أن عملية التنقيب عن الآثار هي مجرد وسيلة تدعم اهدافاً محددة بحركتها المركزية التوراتية والاجندات السياسية، ولتأسيس قاعدة أساسية لتزويد المتاحف الاوروبية بتراث العراق القديم كالمتحفين (البريطاني واللوفر).

تهدف هذه الدارسة إلى تفكيك الحوافز الدينية والسياسية والاقتصادية لوفود البعثات الإثارية الغربية في العراق، مع تتبع التغيرات التاريخية التي نقلت المزاولات الاركيولوجية من مرحلة التنقيب القنصلي العشوائي في القرن التاسع عشر إلى المؤسسة القانونية في القرن العشرين، كما يسعى البحث إلى الكشف عن الآثار الفكرية والعلمية التي ترتبت على الاهتمام الغربي بالتنقيب عن الآثار العراقية، وما أسهم به ذلك من تطور في المعرفة الأثرية والتاريخية بحضارات العراق القديم، وأسهمت تلك البعثات بالكشف عن الآثار العراقية ودراستها بسبب الإهمال العثماني, أذ عملت على تأسيس علم (الآشوريات) من أجل مصالح المتاحف الأوروبية.

بدايات الاهتمام الغربي بالآثار العراقية:

شهدت أرض العراق قديماً قيام بواكير الحضارات البشرية الأصيلة المعروفة على مستوى العالم والتي عرفت بمنجزاتها الحضارية الكبيرة والقيمة، وكان لها أيضاً علاقاتها وتأثيراتها الحضارية الواسعة مع مختلف حضارات ودويلات العالم القديم، وعلى ذلك الأساس كان الاهتمام بآثار تلك الحضارات العراقية القديمة كبيراً, ذلك الاهتمام الذي تنامى وتعاظم بشكل متواز مع تنامي الدوافع والغايات (أبو الصوف، ١٩٩٢، صفحة ٢٨)، وشهد نهاية القرن الثامن عشر حركة واسعة للرحالة الأجانب وحظيت مناطق ومدن مختلفة من العراق فزار العراق الكثير من الرحالة والباحثين والمهتمين سواء من العرب أو الأجانب الرحالة الفرنسي(جان بابتيست تافرنييه)، و المقيم البريطاني في بغداد (كلوديوس ريج), والرحالة العربي نقيولا سيوفي الذين وضحوا في كتاباتهم ومؤلفاتهم شيئاً عن آثار هذا البلد العريق، وقد ورد عن حضاراته القديمة وآثاره بعض الإشارات الكتابية في الكتب المقدسة كالقرآن الكريم أو العهد القديم وفي المؤلفات أو المدونات الكلاسيكية القديمة أيضاً، فعمد بعض من زار العراق، ولا سيما الأجانب منهم، إلى نقل واستنساخ ورسم بعض الآثار الشاخصة

للعيان والعودة بها إلى بلدانهم ليتشكل الحافز والدافع الممهد للكثيرين غيرهم من المهتمين بهذا الجانب لأن يزوروا العراق ويبحثوا في أرضه عن تلك الآثار ذات القيمة المادية والفنية، والتي تخص أقواماً قديمة ورد ذكرها في العهد القديم (محمد، ٢٠١٢، صفحة ٢).

وتفاوتت أهداف الرحالة، وتنوعت شخصياتهم، واختلفت مصادر تمويلهم، أذ كانوا يُقيمون ردحًا من الزمن، ويوردون انطباعاتهم، التي صارت رافدًا مهماً للكتابة التاريخية، واهتم جُلهم بآثار العراق, فجاسوا في مناطق مختلفة تنقيبًا، وبحثًا عنها في كل الأرجاء لما تشكله مصدراً ثرياً لحضارات بائدة, فضلاً عما فيها من مخطوطات في شتى صنوف المعرفة فاجتذبت العديد من الرحالة والمستشرقين لما لها من شهرة واسعة وصيت ذائع, فكانت بلاد الرافدين مسرحاً لحوادث تاريخية, فقصدها الكثير من الرحالة من مختلف أصقاع الأرض سائحين وزائرين, وقام بعضهم بجمع الكثير من تلك الأثار، ونقلوها إلى متاحف الغرب (السعيد، ٢٠١٦، صفحة ٥٧)، ومن أشهر الرحالة الغربيين الذين جاءوا إلى العراق (كلوديوس جيمس ريج)[*](Claudius James Rich) (ريج، ٢٠٠٨، صفحة ١٥).

المقيم البريطاني في العراق والذي قام برحلة بين عامي ١٨١٦ وعام ١٨٢٠ شملت مناطق في الموصل وبابل وبغداد وحدد مواقعها الأثرية ودرس تاريخها وألف كتاب مذكرات في خرائب بابل، وماكس أوبنهايم القانوني والدبلوماسي والسياسي الألماني الذي قام برحلة عام ١٨٩٨ إلى العراق وسوريا واكتشف العديد من المناطق الأثرية (غازي، ٢٠٢٣، صفحة ٣٢٨).

انطلقت مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي أولى عمليات البحث عن الآثار العراقية بوساطة طرائق ووسائل عديدة روعي فيها عدم الإسراف في إنفاق المال والوقت والجهد, فبدأ الغرب يتعرف على أحوال العراق وعلى البقايا الأثرية فيها عن طريق أخبار الرحالة الأوربيين الذين شرعوا يؤمون الشرق من فترات سابقة , فبدأت أعمال النبش والتخريب في بطون أبرز المواقع الأثرية، ناهيك عما استحوذ عليه من الآثار عن طريق المتاجرة, تلك الأعمال التي كان أبرز مموليها الحكومات والمؤسسات والجمعيات العالمية، ومنها على وجه الخصوص المتاحف الأوربية كالمتحف البريطاني ومتحف اللوفر الفرنسي، فتم بذلك نقل الكثير من الآثار العراقية عبر شخصيات أجنبية حملت الطابع السياسي والعسكري والاستخباراتي وأيضاً بوساطة مجموعة المغامرين والشخصيات المرتبطة بالمتاحف الأوربية والتي وفدت إلى العراق في تلك المدة لأجل إخراج أكبر كمية ممكنة من الآثار باتجاه أوربا، قبل أن تبدأ مرحلة القرن العشرين الميلادي التي

[*]كلوديوس جيمس ريج: ولد في ٢٨أذار ١٧٨٧ في فرنسا ثم انتقل منذ طفولته إلى إنكلترا تعلم اللغتين اللاتينية واليونانية، فضلاً عن تعلمه لغات عصرية متعددة، كانت له رغبة في دراسة العلوم الشرقية عن طريق اطلاعه على عدد من المخطوطات التي تم العثور عليها، وبعد ذلك تعلم اللغة التركية، وفي عام ١٨٠٤ تم تعيينه كاتب تحريرات في بومباي، وفي عام ١٨٠٨ تم تعيينه مقيماً في بغداد والبصرة، وأثناء أقامته جمع عدد من القطع الأثرية عثر عليها في بابل ونينوى وطيسفون وبغداد، والف كتاب عام ١٨١٨ (مذكرات ثانية في بابل) وفي عام ١٨١٣ ترك ريج مقيمته في بغداد لأسباب صحية.

نشطت بها البعثات الأجنبية العاملة في العراق، والمتسمة بعض أعمالها الإثارية بالتنظيم والدقة مقارنة مع الأعمال السابقة (الدباغ، بدون سنة صفحة ٣٠).

أما الدوافع والأسباب التي دفعت الدول الغربية للاهتمام بالأثار العراقية والبحث عنها في المواقع الأثرية الشاخصة في جميع مناطق العراق هي:

أولاً- الـدوافـع الدينـيـة:

بدأ علم الآثار يظهر في العراق في بداية القرن العشرين بوصفه علماً أكاديمياً يستكشف ويشخص ويستظهر ويدرس آثار حضارات بلاد الرافدين العريقة, ويحافظ عليها كونها كنز من كنوز الأمة، وسبق ذلك الظهور عدة مراحل ممهدة ودوافع مسببة بأن يكون هناك علم آثار في العراق، فكانت أولها هي الدوافع الدينية التي اعتمدت الإشارات والكتابات الواردة في الكتب المقدسة والمدونات الكلاسيكية التي ذكرت بشكل مباشر أو غير مباشر مدن وحضارات وآثار العراق القديمة لتكون محط اهتمام وأنظار الرحالة العرب والأجانب الذين ما كانوا أيضاً ليغفلوا في زياراتهم للعراق عن زيارة وتتبع كل ما هو قديم وغريب يخص أولئك الناس الذين تركوا تلك الآثار التي تكتنز بداخلها أسرار القصص الخيالية المنسوجة في سير أصحابها، فكانت زيارات أولائك الرحالة مرحلة ثانية نبهت وشخصت بعض المواقع الأثرية وأشارت إلى أخرى عن طريق ما كتبوه من مشاهدات ووصف لها, فضلاً عن ما نقله الأجانب من قطع أثرية ورسوم لكتابات قديمة عُدت في حينها مجرد نقوش غريبة غير مفهومة بالنسبة لحضارة وثقافة بلدانهم، لتشجع تلك الآثار المنقولة والمشاهدات السابقة على توالي زيارات الرحالة والتجار إلى العراق والبحث عن ما يشابه تلك الآثار المكتشفة التي كانت في يوم ما في يد الأشوريين والبابليين وغيرهم من سكان العراق القدماء الوارد ذكرهم في العهد القديم لأولئك الأجانب لتنظيم رحلات وبعثات أجنبية قادمة من أوربا إلى العراق متعددة الغايات والدوافع بتمويل سياسي ومؤسساتي في النصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد وبالتحديد عام ١٨٤٠م , والتي بدأت فيها أولى عمليات الحفر والبحث عن الأثار العراقية في المواقع والعواصم الآشورية (Ziolkowski, 2012, pp. 22-23).

ظل وجود اللغة السومرية مجهولاً لدى العلماء حتى تم اكتشافها في عام ١٨٥٠ حين توصل العالم في مجال الكتابات المسمارية الايرلندي (إدوارد هنكس)[*] (Edward Hinks) من حل رموز الكتابة المسمارية الموجودة على الألواح الطين التي تم العثور عليها في مناطق مختلفة من العراق, ولا سيما عند

[*] إدوارد هنكس(١٧٩٢-١٨٦٦): رجل دين أيرلندي، اشتهر بأنه عالم آشوريات وأحد مفككي شفرات الكتابة المسمارية في بلاد ما بين النهرين، وكان أحد الرجال الثلاثة المعروفين باسم "الثالوث المسماري المقدس". للمزيد من المعلومات ينظر: الأنترنت ويكيبيديا.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%B1%D8%AF_%D9%87%D9%8A%D9%86%D9%83%D8%B3 . تاريخ الدخول ٢٠٢٦/٧/١٥

اكتشاف مكتبة آشور بانيبال في الموصل التي تم ترجمتها في مطبوعات أخذت تنشر في فرنسا وبريطانيا وألمانيا وأمريكا (حنون، ٢٠٠٧، الصفحات ٢٠-٢١)، وجاء حل رموز الكتابة المسمارية في العراق حدثاً مهماً وبارزاً فتح الباب أمام الباحثين الغربيين للتعرف عن الحضارات القديمة لبلاد الرافدين, فأصبح بالإمكان قراءة جميع النصوص المدونة على الألواح, فوردت أسماء العديد من المدن العراقية في تلك النصوص مما دفع الكثير من المهتمين بالتوجه إلى تلك المدن والبحث عن الآثار فيها (عبدالله، ٢٠٠٤ صفحة ٣٥)

لقد وردت إشارات كثيرة في الكتب المقدسة (القرآن الكريم والعهد القديم) إلى الأقوام القديمة التي سكنت بلاد الرافدين وحضاراتها, وعدت تلك الإشارات إحدى أهم المصادر التي تحدثت عن تاريخ وحضارة بلاد الرافدين, فضلاً عن أنها عُدت أحدى أهم الدوافع التي شجعت الغرب على زيارة العراق بغية البحث عن أثاره, فوردت مثلاً إشارات في القرآن عن مدن وأقوام العراق القديم منها ما هو بشكل مباشر كذكر اسم مدينة بابل، إحدى أهم واكبر مدن العالم القديم، في قوله تعالى ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ)، ومنها ما هو بشكل غير مباشر إذ يظن أن ارض العراق كانت قديماً موطناً للأقوام التي بعث الله إليها عدداً من الأنبياء والرسل، والذين يمكن تلمس أثر دعواتهم التوحيدية في ارض العراق قديماً من خلال كتابات بعض الآثار المكتشفة فيها ولا سيما المسمارية منها (العزاوي، مصدر سابق، الصفحات ١٢-١٣) .

أما العهد القديم تأتي التوراة في مقدمة المصادر عن تاريخ العراق القديم, أذ وردت فيه إشارات بشكل أوسع وأكثر تفصيلاً عن مدن وحضارات وشعوب العراق القديمة، والسبب في ذلك يعود إلى أن أحبار اليهود قد ضمنوا قديماً في عدد من أسفار العهد القديم أخباراً مقتضبة عن الآشوريين والبابليين في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد عندما كانوا أسرى في بلاد بابل اثر إخضاع كياناتهم السياسية من قبل الآشوريين والبابليين, ونتيجة لتلك الأحداث نشأت بين العبرانيين وسكان وادي الرافدين صلات مباشرة اتسم معظمها بالعداء والبغض, مما جعل مدوني أسفار التوراة يفردون فصولاً عن تلك العلاقات ولاسيما علاقات اليهود بالإمبراطورية البابلية التي أزالت الدولة اليهودية في أورشليم وقصة الأسر المشهور, وأن أسفار التوراة التي جاءت بشكلها الأخير إنما تم تدوينها في بلاد بابل(ما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد), ودون التلمود اليهودي المعروف بالتلمود البابلي في بلاد بابل في (القرن السادس الميلادي) (باقر، ٢٠٠٩، الصفحات ١٢٣-١٢٤).

أن التوراة كانت أهم وسيلة متوافرة لدى الباحثين للتعرف على الشرق القديم, وهو يعكس نظرة يهودية إلى عالم الشرق, فالاستفادة منها ينبغي أجراء تحوطات شتى, أذ تكون مهمة مؤرخ بلاد ما بين النهرين اكتشاف ما بوسع تلك الروايات أن تسهم في المعرفة على صعيد ما, ولذلك فأن التوراة تاريخ شعب قديم فيها من المعلومات ما استخدم خطأ في فترة طويلة على الصعيد التاريخي, وكانوا المؤلفون المسيحيين يحاولون من خلالهما التعرف على العالم القديم, ولكنهم كان عادة أيجاد مادة دفاعية يستخدمونها حججاً دامغة لدعم

نظرياتهم, فلم يعد العهد القديم منجماً لمعارف تاريخية, وأن اليقين الكتابي ظل محدوداً ومحصوراً, وبدأ يمنح الثقة بعد الحصول على معلومات جديدة تؤكد كتاباتهم في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي, ولا سيما بعد الاكتشافات الأثرية التي تمت في آور في المدة (١٨٥٠-١٨٥٥) في منطقة الزقورة (Hoerth, 1998, p. 124).

وكان من أسباب التوجه الغربي للبحث والتنقيب عن الآثار في العراق هو البحث عن آثر حدوث الطوفان في بلاد الرافدين, ولاسيما أن الطوفان قد ذكر في سفر التكوين في العهد القديم على أن طوفان أقره الله بمحو كل شيء على الأرض, فتم وصف الطوفان في التوراة وصفاً دقيقاً, وقد وجدت ثلاث روايات بابلية منقوشة على رقيم فخاري مكسور وكثير التشوه تشير إلى الطوفان, فضلاً عن أن الإشارة إلى الطوفان وردت في نصوص دينية تتعلق بالملك البابلي (عبد الوهاب، ٢٠١٧، الصفحات ١٧-١٨)، وعثر عالم الآشوريات (هرمز رسام)[*] H. Rassam (النحاس، ٢٠١١ الصفحات ١٤١-١٤٢) في عام ١٨٥٣ على نسخة من رواية الطوفان البابلية في بقايا مكتبة الملك آشور بانيبال ونقلها إلى المتحف البريطاني عام ١٩٥٥, أذ قام عالم الآشوريات (جورج سميث) George Smith , ومساعد أمين العاديات في المتحف البريطاني في عام ١٨٧٠ بترجمة أحد عشر رقيم طيني تم العثور عليها في نينوى والوقوف على محتواها الذي يتناول قصة الطوفان البابلية, والسفينة الوارد ذكرها في التوراة وهو اكتشاف عظيم, فسارع سميث إلى إعلان ذلك الاكتشاف على جمعية الآثار التوراتية مستغلاً الاهتمام التوراتي العام السائد في وقتذاك, فكان ذلك الاكتشاف دافعاً كبيراً لإثارة الحماس لدى المهتمين وأثارت ردود كبيرة لدى الناس في لندن وأثار اهتمامهم, ودعوا إلى وجوب استئناف الحفريات في نينوى للعثور على الأجزاء المفقودة والمكملة للرقم المسمارية لحادثة الطوفان, وعرضت صحيفة (ديلي تلغراف) مبلغ ألف جنيه لقاء ذهابه إلى نينوى بحثاً عن كسرات الرقيمة التي تكمل القصة, فوافق سميث على ذلك العرض وبدأ في عام ١٨٧٣ بالبحث عنها لمدة أسبوع كامل حتى عثر على الجزء المفقود من رقم ملحمة كلكامش التي عاد بها مسروراً إلى بريطانيا ليلقى هناك الحماسة والاهتمام الكبيرين من المهتمين. (العزاوي، مصدر سابق، الصفحات ٥٩-٦٠)

وكانت تحمل تلك القصة طابع مشابه للقصة التوراتية، فضلاً عن ورود القصة في الكثير من المصادر في التراث والشعر العربي وأن تلك الإشارات في الكتب المقدسة شجع الكثير إلى زيارة العراق قديماً

---

[*] هرمز رسام: وهو أحد علماء الآثار الآشورية والبابلية, ومن أكبر الباحثين والمنقبين وهو أول شخص يتبنى دراسة علم الآثار في العراق, ولد في الموصل عام ١٨٢٦ من عائلة نصارنية كلدانية, تلقى تعليمه في مدارس لندن, وهو أول عراقي يدخل جامعة أكسفورد في التاريخ, ودرس الآثار القديمة وتعلم اللغة الكلدانية والآشورية, رافق هنري لايارد في التنقيب عن الآثار الآشورية عام ١٨٤٥ في النمرود, وبعد مغادرة لايارد العراق قام المتحف البريطاني بتعيينه لأدارة الحفريات في العراق بموافقة السلطات العثمانية

وحديثاً والاطلاع على أحواله وآثاره، سواء العرب من خلال ما قرؤه في القرآن الكريم ومعرفتهم بتفسيرات آياته الكريمة أو الأجانب عن طريق أسفار العهد القديم والتي كانت تمثل أقدم الكتابات المتيسرة آنذاك (جميل، مصدرسابق، الصفحات ٣٦-٤١).

وقام بتلك المهمة علماء وكتاب آمنوا بما جاء في الكتاب المقدس، وحاولوا إثبات ما جاء فيه، وفي النصف الأول من القرن العشرين وبالتحديد عام ١٩٢٢ تمكنت بعثة مشتركة أوفدها المتحف البريطاني ومتحف جامعة بنسلفانيا الأمريكية، برئاسة السير (ليونارد وولي) (S.L Woolley)[*] (Mallowan, 1960, p. 25)، مديراً للتنقيبات الآثارية كان الهدف منها أيجاد مدينة نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام, أذ وردت إشارات وتأكيدات في التوراة على ارتباطه بمدينة أور, وهو في محاولة إثبات صحة التوراة في ذلك (Ziolkowski, 2012, pp. 22-23) ، وتمكن من الكشف على المقبرة الملكية وبعض النقوش التي تعكس مراسيم الطقوس الجنائزية, ووجد بعض الآثار التي تشير إلى أن الطوفان وصل إلى أور, ومنها أدرك السير وولي أهمية الإشارة التوراتية إلى أور الكلدانية وعلاقتها بالنبي إبراهيم لذلك سميت الحفرة التي عثر فيها على ترسبات عميقة (حفرة الطوفان), فبدأ البحث عن الطوفان وإيجاد مكان حدوثه، وعد الفيضان الذي طغى على مساكن عهد العبيد هو الطوفان الذي ورد ذكره في التوراة, وأن النبي إبراهيم قد رحل من أور إلى أرض كنعان (جميل، مصدرسابق، الصفحات ٤٢-٤٣).

يتضح مما تقدم أن الدوافع الدينية كانت من العوامل المهمة التي أسهمت في توجيه الاهتمام الغربي نحو البحث عن آثار العراق، ولاسيما منذ القرن التاسع عشر، إذ ارتبطت رغبة عدد من الرحالة والباحثين والمنقبين بمحاولة التحقق من الروايات والأحداث الواردة في الكتب المقدسة، والكشف عن المدن والمواقع التي ارتبطت بتاريخ الحضارات القديمة, وأسهم ذلك الاهتمام في لفت الأنظار إلى الأهمية التاريخية والحضارية للعراق، الذي احتضن مراكز حضارية بارزة مثل بابل ونينوى وأور والوركاء, ومع ذلك فإن تفسير النشاط الأثري الغربي بالدافع الديني وحده لا يبدو كافياً, أذ تداخلت معه دوافع علمية وثقافية وسياسية واقتصادية، وأصبح البحث عن الآثار جزءاً من حركة أوسع لدراسة الشرق القديم وإعادة بناء تاريخه, ومن هنا يمكن القول إن الدافع الديني مثّل في مراحل مبكرة مدخلاً مهماً للاهتمام بالآثار العراقية، لكنه تحول تدريجياً

---

[*] ليونارد وولي(١٨٨٠-١٩٦٠): وهو عالم آثار بريطاني ولد في لندن في ١٧نيسان ١٨٨٠, درس في جامعة أكسفورد, وحصل على مرتبة الشرف في اللاهوت نصحه أحد مدرسيه بأن يجعل علم الآثار مهنته, وفي شبابه اكتسب اهتماماً باللوحات الفنية, وبعد تخرجه من جامعة أكسفورد درس اللغات الحديثة في فرنسا وألمانيا, وتم تعينه أمين متحف أشموليان (١٩٠٥-١٩٠٧), وبدأ أعماله في الشرق الأدنى عام ١٩٠٧ في النوبه, وفي عام ١٩٢٢ ذهب مدير للبعثة المشتركة للمتحف البريطاني إلى مدينة أور جنوب العراق, وكان أنجح المنقبين الذين شاركوا في علم الآثار الميداني, اكتشف المقبرة الملكية الشهيرة في أور, توفي في٢٢شباط ١٩٦٠.

إلى اهتمام علمي أكثر تنظيماً، أسهم في تطوير أساليب التنقيب والتوثيق والدراسة، وفي الوقت نفسه أدى إلى نقل أعداد كبيرة من اللقى الأثرية إلى المتاحف والمجموعات الغربية, لذلك فإن دراسة تلك الدوافع تقتضي النظر إليها ضمن سياقها التاريخي العام، بوصفها عاملاً من عوامل تشكل الحركة الاستشراقية والأثرية الغربية تجاه العراق، وما تركته تلك الحركة من آثار إيجابية وسلبية على دراسة التراث العراقي وصيانته.

ثانياً – الدوافع السياسية:

شهد العراق، ولا سيما مناطق الموصل وبغداد وجنوب بلاد الرافدين، منذ منتصف القرن التاسع عشر اهتماماً متزايداً من جانب الدول الغربية بآثاره القديمة, ولم يكن ذلك الاهتمام منفصلاً عن التطورات السياسية والتنافس الدولي على المنطقة، أذ كانت بلاد الرافدين جزءاً من الدولة العثمانية، وأصبحت منطقة ذات أهمية استراتيجية للدول الأوروبية، الأمر الذي أدى إلى تنامي النشاط الأجنبي في العراق , وشمل ذلك النشاط السياسي والدبلوماسي, فضلاً عن البعثات الجغرافية والطبوغرافية وبعثات التنقيب عن الآثار الأثر, فارتبط ذلك النشاط بالمنافسة السياسية والدبلوماسية بين القوى الغربية (غازي، مصدر سابق، صفحة ١١).

بدأت الدول الاستعمارية الأوروبية الغربية في مطلع القرن التاسع عشر بإرسال هيئاتها الدبلوماسية وبعثاتها التنصيرية بكثافة إلى الشرق الأوسط وعيونهم مصوبة نحو (بلاد الرافدين – العراق) لامتيازه بالموقع الاستراتيجي الفريد فهو ملتقى خطوط التجارة العالمية بين قارتي أوروبا وآسيا ولمحادته للإمبراطورية العثمانية, ولأنه مهد الحضارات والنبوات, وكانت تلك الدول مدفوعة بالهواجس الدينية النابعة من نصوص كتب التوراة والتلمود اليهودية والإنجيل وهاجس ذكرى الحملات الصليبية والتبشير النصراني, والهاجس الاستخباري والطموحات الاستعمارية التي ظهرت منذ حرب الاستقلال الأمريكية وصولاً بحروب نابليون بونابرت في أوربا والتغيرات الحاصلة في خارطة الدول الأوربية وصولاً إلى حروب روسيا القيصرية مع الدولة العثمانية(١٨٥٣–١٨٧٨), فكان العراق من الأهداف الأولى التي صوب الغرب الاستعماري أنظاره عليه (الشمري، ٢٠١٣، صفحة ١٣).

وكان لبريطانيا وفرنسا الدور الأبرز بين الدول الأوروبية في الصراع والتنافس لاقتسام الأراضي التابعة للدولة العثمانية التي كانت على شفا الانهيار, وكان العراق هو الساحة الأفضل لذلك الصراع، وكانت مساعيهما الاستعمارية تتمثل بطرق عديدة منها إجراء مسح عام للمدن والقرى وبعثات أخرى لمسح الأنهار, وكان ذلك يجرى أمام أنظار السلطات العثمانية الغافلة عما يدور، وكان من ضمن مهام هيئاتهما الدبلوماسية وبعثاتهما التبشيرية التي اتخذت في القرن الثامن عشر من الولايات العربية في العراق (بغداد ١٧٨٩، الموصل، البصرة ١٧٦٤ التابعة للدولة العثمانية مقراً لقنصلياتها وبعثاتها) هو إرسال المزيد من البعثات وتوسيع قاعدة التمثيل الدبلوماسي والتغلغل في بنية المجتمع العراقي, وإضافة لأعمالهما في مجال الجاسوسية والتبشير النصراني كانت هناك مهمة أخرى هي سرقة الآثار القديمة والمخطوطات وإفراغ البلد من تاريخه

وآثاره وتراثه، وكانت عيون اليهود بالذات مصوبة نحو سرقة محتويات مكتبات الأديرة والكنائس النصرانية اليهودية (الجبوري، مصدر سابق، الصفحات ٣-٤)، وأن أول من تولى استخراج الآثار في العراق هم القناصل والممثلون السياسيون, ولا سيما بريطانيا ,وأن أولى المدن التي استهوت مشاعرهم هي العواصم الآشورية الواقعة في أطراف الموصل, أذ تكثر القطع الأثرية, كالصور والمشاهد والكتابات على الألواح الحجر, فقام أولئك القناصل بالحفر في مدينة النمرود في قصورها ومعابدها, فوجدوا الكثير من الآثار التي تم نقلها إلى متاحفهم, وكان لأعمالهم الفضل الكبير في نشوء وتنمية البحث العلمي في حضارات العراق وتاريخه, ألا أنهم في بداية الأمر لم يكونوا يحسنون التنقيب, كان همهم جمع الآثار بالدرجة الأولى (سفر، ١٩٤٨، صفحة ١٧٤).

بدأ التنافس الاستعماري الفرنسي البريطاني على الشرق ولا سيما الهند, فبدأت تلك المنافسة تزداد في القرن التاسع عشر, وحاولت الدولتان الحصول على طريق بري أقصر يؤدي إلى الهند, وحاولت فرنسا أن تجد لها موطئ قدم في العراق فنشطت الدبلوماسية الفرنسية, بعد أن حاولت بريطانيا منع ذلك النشاط بكل الطرق, فبدأ التنافس في مجال نهب الآثار العربية بشكل عام وآثار العراق بشكل خاص وهو الموضوع الذي كان يشكل جانباً من جوانب الصراع, إن هذا المجال العلمي في التنافس لا يقل أهمية عن تنافسهما في ميدان التبشير, والسياسة والاقتصاد. (الجبوري، مصدر سابق، الصفحات ١٧٧-١٧٨).

استغلت الدول الأوربية ضعف الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي, بدأت تتوافد البعثات الأجنبية، وتحديداً الإنكليزية والفرنسية منها إلى العراق للبحث عن آثار حضاراته، وبتخويل وتسهيل من السلطات العثمانية آنذاك, وبدء تنظيم الرحلات الأوربية إلى منطقة الشرق بشكل عام، والعراق بشكل خاص بوساطة الحكومات الأوربية عن طريق اختيار شخصيات تم تأهيلهم بجهود جمعيات ومؤسسات كثيرة تأهيلاً استشراقياً في اللغة والتاريخ والثقافة، فضلاً عن اختيار الشخصيات التي تتصف بروح المغامرة، وفي اغلب الأحيان كان يرأس تلك البعثات الدبلوماسيون والسياسيون المقيمون في العراق أو المبعوثون إليه من الخارج من ضباط جيش ورجال دين وعدد من المغامرين الأجانب، مما يفصح عن أهداف وغايات هي اكبر من جمع الآثار فقط ، أما الغاية والصورة الشكلية الرئيسة من تلك البعثات، والتي لا تخلو هي الأخرى من مصالح مهمة وقيمة، فكانت تجمع ما يمكن جمعه من الآثار المختلفة والمتنوعة بأسهل الطرائق واقلها تكلفة وجهداً وأسرعها وقتاً لذلك كانت السمة البارزة لعمل هذه البعثات هي النبش, والحفر العشوائي في المواقع الأثرية (العزاوي، ٢٠١٤، الصفحات ١٧٧-١٧٨).

كان القسم الأكبر من البعثات التي وصلت بلاد الشرق هي بعثات رسمية تمولها وتشرف على أمورها جهات حكومية, وكان من بين تلك المؤسسات والشركات الممولة لذلك الغرض هي شركة الهند الشرقية الإنكليزية التي طلبت من ممثليها في البصرة أن يرسلوا إلى بريطانيا المزيد من القطع المختومة

بالكتابة المسمارية, فأرسلت الشركة مقيماً لها في بغداد وهو (كلوديوس جيمس ريج) Claudius James Ric (جيمس ريج، ٢٠٠٨، الصفحات ٥-٩)عميل المخابرات البريطانية مقيماً سياسياً في بغداد عام ١٨١١, وكانت مهمته الأولى القضاء على النفوذ الفرنسي في العراق, وأضعاف العناصر الموالية للفرنسيين والعمل على توطيد علاقات الصداقة مع شيوخ العشائر والزعامات المحلية الأخرى بغية ربطهم بعجلة المصالح البريطانية, وتمكن من تحقيق جانباً كبيراً من الأهداف التي جاء من أجلها, واستغل وجوده في العراق فقام بزيارة التلال الأثرية في بغداد وبابل عام ١٨١٦, واجرى فيها بحث اختباري فيها, وفي عام ١٨٢٠ زار شمال العراق وقام بالتحري في أطلال نينوى, فجمع عدداً من القطع الأثرية, وعثر على بعض الرقم الطينية والاختام الأسطوانية, واستطاع ريج أن يثير اهتمام الكثير من المعنيين بالتاريخ والآثار في الغرب ويوجه أنظارهم صوب العراق, لاسيما بعد ما تم نقل الآثار التي سرقها من المواقع الأثرية العراقية لتستقر في المتحف البريطاني عام ١٨٢٥ (غازي، مصدر سابق، صفحة ١٧٧) .و (عبدالله، ٢٠٠٤ صفحة ٩)

أثارت المكتشفات الأثرية جدلاً واسعاً في أوربا, فتنبهت الحكومة الفرنسية التي كانت في صراع مع الحكومة البريطانية للسيطرة على الشرق, ولاسيما البلدان العربية لغايات سياسية واقتصادية وفي أطار التنافس السياسي والاستعماري بين بريطانيا وفرنسا, جذبت مدونات ريج وتحديده للمواقع الأثرية في العراق انتباه الفرنسيين اليها, فحاولت الحكومة الفرنسية التصدي وعدم السماح لبريطانيا بأن تضع يدها على كنوز العراق العظيمة, وحاولت ان تتصدى لأي اهتمام تبديه الحكومة البريطانية سواء كان ذلك في نشاط الفنون أم في النشاط السياسي, فوجدت فرنسا في ميدان الآثار والتنقيب عنها مجالاً للمنافسة العلمية تجاه بريطانيا , وعلى أثر ذلك افتتحت الحكومة الفرنسية في الموصل قنصلية لها في صيف عام ١٨٤٢م، أذ ان الفرنسيين كانوا يعتقدون أن بريطانيا تمهد لاستعمار العراق, فعينت الحكومة الفرنسية بول أميل بوتا (Poul Emile Botta) قنصلاً لها في الموصل، ولم يكن بوتا مؤرخاً ولا آثارياً بل كان دبلوماسيا سبق ان شغل منصب قنصل فرنسا في الإسكندرية، وبعد أن تسلم عمله الدبلوماسي في الموصل أضاف إلى مهامه السياسية مهمه البحث عن الآثار (أبو الصوف، ١٩٨٥، الصفحات ٦٠-٦١).

باشر بوتا حفرياته الأولى في تل قوينجق، بدأ بشق الإنفاق للوصول إلى القصور والمعابد الأشورية، ثم تحول الى خرسياد (دور شروكين) وبدأ بالنبش في أطلالها فأستخرج منحوتات أثرية مهمة من قصر الملك سرجون الآشوري، ثم حصل على دعم الحكومة الفرنسية للتوسع والاستمرار في حفرياته والحق به الرسام والخبير في العمل الآثاري (فلاندن) لمساعدته ومده بمزيد من الأموال ليواصل عمله، وتمكن في عام ١٨٤٦ من أرسل الكثير من المنحوتات الأثرية إلى متحف اللوفر (العزاوي، مصدرسابق، الصفحات ٣٤-٣٥) .

لم يرق للإنكليز ترك الفرنسيين وحدهم ينهبون ما شاءوا من قصور الآشوريين ومعابدهم في نينوى وخرسياد, كما عز على المتحف البريطاني أن ينفرد متحف اللوفر وحده بامتلاك قطع النحت الآشورية

المدهشة التي شغلت العديد من صالاته, فقامت بريطانيا عن طريق سفيرها في إسطنبول السير ستراتفورد كانتج بتكليف هنري اوستن لايارد (Layard) للقيام بتنقيبات أثرية مماثلة في المواقع الأشورية في الموصل وزودته بالأموال اللازمة للشروع بتلك المهمة, الذي وضعت بريطانيا ثقتها فيه من أجل تحقيق ما تصبوا اليه من أهداف معلنة وغير معلنة (إبراهيم، ١٩٩١، صفحة ٤١٩) ، فكان من مهامه المكلف بها هي معرفة الظروف المساعدة للبريطانيين في صراعهم مع الدولة العثمانية, ورغم صغر سنه فقد أدى مهامه بنجاح, فكان عضواً في لجنة الوساطة لرسم الحدود جنوب العراق (الشمري، ٢٠١٣، صفحة ٤٤) .

بدأ الاقتسام والمحاصصة الاستعمارية في منتصف القرن التاسع عشر بعد نزاعات وصراعات ومؤامرات بين الدول الأوروبية وبين الدولة العثمانية المنهكة, فكان العراق أحد مسارح تلك الصراعات, أذ تقاسمت الدول الأوروبية فيما بينها غنيمتها من التلال الأثرية في العراق ممثلة بهيئاتها الدبلوماسية في عملية محاصصة استيلائية استعمارية غير مشروعة, فصار من حصة بريطانيا تلال قوينجق والنمرود وبلاوات في الموصل و(أور) في الجنوب، ومن حصة فرنسا تلال خرسباد في الموصل وتلو والأحيمر وسنكرة في الجنوب، ومن حصة المانيا تلال آشور والعقر في الموصل وبابل وسامراء في الوسط والوركاء في الجنوب, ومن حصة أمريكا تل نوري في كركوك, وتل أسمر (أشنونا) في ديالى, ونفر في الجنوب, فاستباحة تلك الدول لكل التلال الأثرية في العراق وكان ذلك يتم في غياب الوعي الحضاري والثقافي والآثاري عند المسؤولين العثمانيين (صالح، ١٩٨٧، الصفحات ٣١-٣٤).

بعد تقاسم الدول الغربية للمواقع الأثرية في العراق في منصف القرن التاسع عشر بدأ نشاط الهيئات الدبلوماسية بالحفريات فكانت في حرب خفية فيما بينها وتستغل الظروف المواتية للقيام بالحفريات تحت جنح الظلام أو بالخفاء في التلال التي كانت من حصة الآخرين، وكان الحفارون من قناصل الدول في تلهفهم واستعجالهم لا يتوانون عن تدمير المواقع الأثرية وإزالة معالمها ومخططاتها من أجل الوصول إلى الدفائن الأثرية, حتى أن بعض المواقع تركوها ركاماً وأنقاضاً مثل مدن وقصور ومعابد الأشوريين في (نينوى وكلخو ودور شروكين) ومدينة بابل وسامراء، لقد كانوا مجرد صيادي كنوز وحفارين سراق آثار, ولم يكن يعقهم حتى وجود المقابر الإسلامية حيث يعمدون إلى حفر الأنفاق المدفونة تحتها لسرقة الآثار المدفونة تحتها, وأن استمرار دخول حقل الآثار بوصفه جزءاً من الصراع السياسي في المنطقة من السلطات المحلية والأجنبية, فكانت المواقع الأثرية مسرحاً لذلك الصراع من حيث التسابق سراً وعلانية للعمل في هذا الموقع أو ذاك واكتشاف ونقل أكبر عدد ممكن من الآثار (العزاوي، مصدر سابق، صفحة ٦٥) و (الشمري، ٢٠١٣، صفحة ٤٥)

دخلت ألمانيا المنافسة مع بريطانيا وفرنسا, ولاسيما بعد تأسيس الجمعية الألمانية الشرقية[*†](ابوالصوف، ٢٠٠٢، صفحة ٦٩) بأمر من القيصر (وليام الثاني) Wilhelm II عام ١٨٩٨, فسعت إلى أن يكون لها دور في الشرق مستغلة العلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تربطها مع الدولة العثمانية التي منحتها امتيازات كثيرة, فاخذ دورها بوصفها منافساً على الساحة الدولية والسياسية, ولاسيما في مجال الآثار وأن لا تترك مجال الاحتكار لبقية الدول الأجنبية الناشطة في منطقة الشرق, فبدأت ألمانيا باختيار عدة مواقع أثرية في العراق وبدء العمل الآثاري فيها, فاستغرق العمل فيها خمسة عشر عاماً مابين (١٨٩٩-١٩١٤) حققت نتائج مميزة ومكتشفات كبيرة, وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ توقف النشاط الآثاري في العراق لتعود تلك النشاطات عقب انتهاء الحرب وسقوط الدولة العثمانية (لويد، ١٩٣٦، صفحة ٢٦٣).

استمرت بعض الشخصيات السياسية والعسكرية في البحث عن الآثار العراقية في القرن العشرين, ولاسيما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى(١٩١٤-١٩١٨) , وكان أول المنقبين الذين استأنفوا التنقيب في مواقع العراق القديمة بعد انتهاء تلك الحرب من الإنكليز الذين خدموا ضمن الوحدات العسكرية ضباطاً سياسيين أو ضباطاً للاستخبارات, هو كامبل تومبسن وليونارد وولي، وهما أيضاً من الذين عملوا في أجهزة ما كان يسمى بالمكتب العربي في القاهرة طوال سني الحرب الأربع, بدأ كامبل تومبسن تنقيباته عام ١٩١٨ في أور واريدو على شكل مجسات سريعة لحساب المتحف البريطاني ولفترة قصيرة فقط, وأعقبه هول عام ١٩١٩ موفداً من المتحف نفسه, واستطاع أن يحقق نجاحاً كبيراً في الكشف عن بقايا معابد سومرية في تل العبيد قرب الناصرية, وفي عام ١٩٢٢ أرسلت بريطانيا السير ليونارد وولي بالمشاركة مع جامعة بنسلفانيا الأمريكية, وحقق خلالها الكثير من النجاحات في حقل الكشف الآثاري والنشر العلمي, وبقت المنافسة الأجنبية في البحث عن الآثار العراقية إلى أن تم إقرار قانون الآثار العراقية لعام ١٩٣٦ (أبو الصوف، ٢٠٠٩، صفحة ٧٠).

(†) أسست في ألمانيا عام ١٨٩٨ الجمعية الألمانية الشرقية وبدأت أولى أعمالها في الجانب الآثاري أرسال بعثة للقيام بحفريات آثارية في جنوب العراق وبالتحديد في مدينة بابل وكان على رأس البعثة المهندس المعماري (روبرت كولدواي) Robert Koldewey يرافقه باحثين مختصين هما (والتر آندريه) Walter Andrae, و(يوردن) Yordan, فوصلت البعثة إلى بابل وشرعت في عملها عام ١٨٩٩ محدده أهدافها, وهي أن يتم فحص جميع البقايا البنائية في المدينة بشكل دقيق والتأكيد على مسألة تعاقب الطبقات الأثرية في الموقع وذلك لمعرفة الأدوار الحضارية والتاريخية لمدينة بابل, فضلاً عن الوقوف على أبرز خطط ومعالم المدينة وتشخيصها. للمزيد من المعلومات ينظر: بهنام أبو الصوف, التاريخ من باطن الأرض أثار وحضارات وأعمال ميدانية, مطبعة دار الأديب, عمان, ٢٠٠٢ , ص٦٩-٧٠ .

ثـالثـاً- الدوافـع الثقافية والاقتصادية:

شهدت أوربا بدءاً من القرن الخامس عشر للميلاد تياراً فكرياً إنسانياً يتمثل في العودة إلى الماضي والبحث عن آثاره القديمة، وبما أن أوربا كانت موطن للحضارات الإغريقية والرومانية فقد عكف الباحثون في تلك المدة التي سميت بعصر النهضة على دراسة الآداب الإغريقية والرومانية وباقي مظاهر تلك الحضارات فظهرت دراسات كثيرة أغنت الحركة الفكرية والعلمية آنذاك لتنعش بعد ذلك تياراً جديداً ظهر في نهاية القرن السادس عشر، ولاسيما في إيطاليا على وجه الخصوص وهو الرغبة في الاطلاع على الشرق الغني بتراثه الفكري والحضاري, فكان لأسماء المدن الشرقية مثل نينوى وبابل وبغداد والقدس وإسطنبول (القسطنطينية) لديهم صداها كذلك لشهرة قصص ألف ليلة وليلة وشهرة الأسواق الشرقية وغناها, فضلاً عن سير الملوك والسلاطين القدماء والتي تركت وقعاً سحرياً في نفوس الأوربيين (العزاوي، مصدرسابق، صفحة ١٨)، ودافعاً إلى المزيد من حب الاطلاع والبحث عن سحر الشرق فكانت الرحلات والزيارات إلى الشرق ومدنه, وربما كان الدافع الأساس لتلك الرحلات أدبياً ثقافياً في بادئ الأمر أذ ألف الرحالة كتباً مزينة بالرسوم والصور محتوياً على جميع ما شاهده واصفاً الآثار وترجمة ما يجده مكتوباً على الصخور, ألا أنه مال لبث أن تحول ذلك الدافع إلى غايات وأهداف متعددة على أثر تدخل الحكومات والمؤسسات الراعية لقسم من تلك الرحلات خدمة لمصالحها الاقتصادية والسياسية والدينية في منطقة الشرق (غازي، مصدر سابق، صفحة ٣٢٩).

أخذت **الدوافع الثقافية** لدى الدول الغربية محط اهتمام من خلال الإشارات الموجودة في بعض مؤلفات كتابات الكلاسيكيين اليونان والرومان, وما جاء فيها من أخبار عن بابل وأشور, والتي كانت مصدراً أخر للمهتمين بدراسة تاريخ العراق القديم وحضاراته, وعامل مشجع آخر لفت أنظار الكثيرين إلى تلك الحضارات العريقة ومواقعها الأثرية، إذ وردت إشارات تاريخية مهمة عن حضارة العراق والوطن العربي في مؤلفاتهم, ومن أبرز أولائك الكتاب الكلاسيكيين الإغريق المؤرخ (هيرودوتس) (٤٨٠-٤٢٥ ق. م) Herodotus, الذي زعم أنه زار مدن بابل وآشور واطلع على آثارها الشاخصة، وسمع من سكانها القصص والروايات قبل أن يدون ما شاهده وسمعه عنها في مؤلفاته, وكتب من الروايات والأساطير الطريفة عن وادي الرافدين كذلك فعل(زينوفون) (٤٣٠-٣٥٥ ق. م) Xenopho وما سجله خلال مسيرة حملته العسكرية من مشاهدات ووصف للمواقع الأثرية في بلاد الرافدين، حيث عُدت كتاباته أدق من كتابات هيرودوتس (باقر، مصدر سابق، صفحة ١٢٦)، وأيضاً كتابات المؤرخ البابلي بيروسس من القرن الثالث قبل الميلاد الذي دون تاريخ بلاد بابل باللغة اليونانية، لكن ما يؤسف له أن ما كتبه قد فقد وان ما يعرف عنه لا يتجاوز بضع معلومات وردت في مؤلفات الكتاب الكلاسيكيين كانوا قد اقتبسوها منه، فضلاً عن باقي الكتاب الكلاسيكيين ومنهم(بوليبيس) (٢٠٢- ١٢٠ ق.م) Polybius الذي يرجح انه أول من استخدم مصطلح (ميزوبوتاميا) Mesopotamia للإشارة إلى الجزء الأوسط والشمالي من بلاد الرافدين، فضلاً عن إشارات

أخرى إلى تاريخ الآشوريين كتبها المؤرخ الإغريقي (ديودورس الصقلي) (٨٠-٢١ ق.م) Diodorus Siculus , والجغرافي الإغريقي (سترابو) Strabo في حدود(٦٤ ق.م- ١٩م)، وأيضا إشارات المؤرخ والجغرافي الروماني (بليني) Pliny في القرن الأول الميلادي, الذي ذكر أشياء مهمة عن المدن القديمة في العراق وغيرهم الكثير من الذين وردت في مؤلفاتهم إشارات إلى تاريخ وجغرافية وأحوال بلاد بابل وآشور (الأحمد، ١٩٩١، صفحة ١٣٣).

أن الإشارات الواردة في مدونات الكُتاب الكلاسيكيين والبلدانيين والرحالة العرب والأجانب , فضلاً عن الدراسات التي ظهرت في أوربا وتناولت حضارات الإغريق والرومان ولا سيما في عصر النهضة الذي تميز بالعودة فكرياً إلى الماضي منها حركة فنية وأدبية وكانت مدن بلاد الرافدين أحدى موضوعاتها الرئيسية ولاسيما في جانب الرسم والقصائد الشعرية والقصص الخيالية, تلك الأعمال كانت مصدر لإلهام العديد من المهتمين لزيارة الشرق ورؤية تلك المدن وآثارها, فضلاً عن ما كشفته تلك الدراسات من وشائج حضارية قديمة, وما أحدثته تلك الاكتشافات من اتجاهات جديدة, ورغبة في البحث عن المزيد, تلك الأمور يمكن عدها عوامل مهمة ومشجعة للمهتمين بالآثار دفعتهم للقدوم إلى العراق والبحث عن مواطن حضاراته وآثارها لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل نشوء علم الآثار في العراق وهي التنقيب الفعلي والحصول على الآثار ونقلها إلى البلاد الأجنبية (Bernhard, 2005, pp. 72-72)

أن أنظار الغربيين بدأت بالتوجه بشكل كبير نحو حضارات الشرق القديم, وحضارة وادي الرافدين بشكل خاص منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي, ولا سيما بعد أن أصدر بعض العلماء الأوربيين ممن لهم صلة بالجانب الآثاري بحوثاً ومؤلفات أثارت حماس الكثير من الغربيين للتوجه نحو مراكز الحضارات الشرقية ومنها حضارة العراق, وكان الرحالة والسياح الأوربيين الذين زاروا العراق واطلعوا على مواقعه الأثرية قد ساهموا في تشجيع الغربيين على البحث والتحري في مدن العراق القديمة, ونشر تلك الأخبار والنتائج التي جمعوها في مجلاتهم العلمية, ومنها مجلة العلماء الفرنسيين مما أثارت اهتمام المؤرخين الأوربيين, ووضعت في متناول أيديهم وصفاً قدمه شاهد عيان عن بقايا وأطلال مدن سبق لهم أن قرأوا عنها فيما ورد من أخبار في التوراة وفي مدونات المؤرخين اليونان والرومان, فأثارت الرغبة لدى الباحثين والمؤسسات العلمية الأوربية لطلب المزيد من المعلومات ومواصلة البحث, وربما كان الدافع الأساس لتلك الرحلات أدبياً ثقافياً في بادئ الأمر، إلا انه ما لبث أن تحول هذا الدافع إلى غايات وأهداف متعددة ومختلفة على اثر تدخل الحكومات والمؤسسات الراعية لقسم من تلك الرحلات، خدمة لمصالحها الاقتصادية والسياسية والدينية في منطقة الشرق (مار كرون، بدون سنة، الصفحات ١٥-٢٠).

أما **الدوافع الاقتصادية** كانت بريطانيا تبحث عن طرق آمنة ذات ديمومة للوصول إلى الهند, ولمعرفة الواقع الجغرافي لحوض ما بين النهرين وما يمكن أن يوفره النهران من إمكانات ملاحية لمساعدتها

في سعيها للتوغل الاستعماري في مناطق الشرق الأوسط المجهولة والغامضة عليهم, ومن جانب أخر عندما بدأ الرحالة والسياح الأجانب يتجولون في مناطق العراق المختلفة, ويلتقطون بعض اللقى الأثرية ويشترون بعضها من السكان المحليين بدأت تتسرب إلى الأسواق الأوربية, مما أدى إلى قيام بعض الأهالي بالحفريات غير المشروعة لنهب الآثار الصغيرة والأختام الأسطوانية وبيعها للجاليات الأوربية وأعضاء الهيئات الدبلوماسية, مما جعل بعض الدول الأوربية تفكر بإرسال عملاء وجواسيس مختارين بعناية إلى تلك المناطق والتقاط وشراء القطع الثمينة وبيعها إلى المتاحف الأوربية, حتى أن بعض الأحجار المنقوشة بكتابات مسمارية وجدت لها سوقاً عند باعة التحف القديمة في أوربا, فأخذ عدد المغامرين يزداد بالتوافد إلى تلك المناطق, وبدأوا بشراء المخطوطات اليهودية والنصرانية والإسلامية والتحف الأثرية الصغيرة الموجودة عند الأهالي (العزاوي، مصدرسابق، صفحة ١٨).

بدأ الدبلوماسيون الغربيون في منتصف القرن التاسع عشر يتحولون إلى لصوص وسراق, حتى أن القنصل الفرنسي في الموصل بول إميل بوتا كان من ضمن واجباته المكلف بها هو شراء المخطوطات القديمة وتهريبها إلى بلاده, فتوسع عمل المغامرون والسراق الغربيون ليبدأوا بالحفر في العواصم والمواقع الآشورية في نينوى ونمرود وقلعة آشور وخرسباد والمدن السومرية والأكدية والبابلية القديمة, وعملوا على تهريب التماثيل الكبيرة المتمثلة بالثيران المجنحة عن تقطيعها إلى أجزاء ونقلها عبر الأكلاك إلى الخليج والتوجه بها إلى بلدانهم وبيعها إلى المتاحف الأوربية, مما جعل المنافسة بين فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في تسابقهم على نهب الأثار العراقية خالية من الشرف وتأخذ أبعاداً تدميرية للمدن الآثارية, وكانت غايتهم العاجلة هي من يستطيع إيصال أكبر عدد من القطع الأثرية إلى بلادة قبل الأخر (الشمري، مصدر سابق، صفحة ٥٥).

كان من نتائج نقل الآثار العراقية إلى أوربا دفع دول الغرب إلى أرسال بعثات آثارية رسمية إلى العراق للحفر والبحث عن الآثار, فقامت الحكومة البريطانية عبر شركة الهند الشرقية إلى إصدار أوامر إلى معتمديها في العراق بضرورة البحث عن الآثار التي تحمل كتابات مسمارية وجمعها ثم شحنها إلى لندن, كان هم البعثات الأجنبية ورؤسائها الممولين من بعض المؤسسات الحكومية الأوربية ومتاحفها الشهيرة هو الحصول على الآثار الحجرية الضخمة كالتماثيل والألواح المنحوتة والآثار ذات القيمة الفنية والمادية, وفعلاً امتلأت تلك المتاحف بالقطع الأثرية التي تم جلبها من الشرق بشكل عام والعراق بشكل خاص وعرضها أمام الجمهور وجني الأموال منها (عبدالله، ٢٠١٤، الصفحات ٤٦٧-٤٦٩) .

اصبح في بداية القرن العشرين واضح للعالم أن ما تكتنزه أرض بلاد الرافدين من كنوز عبر عن أصالة وحضارة تلك البلاد وأخذت الأنظار في تلك المدة بالتوجه نحو الإسراع لكسب ما يمكن الحصول عليه من تلك الكنوز خصوصاً من الدول التي لم تشارك من قبل في تلك الأعمال, وبعد اندلاع الحرب العالمية

الأولى عام ١٩١٤ انتهز البريطانيون الفرصة لتحقيق أطماعهم في ثروات العراق, ومنها آثار حضارته القديمة, واعلنوا بعد سيطرتهم على العراق عام ١٩١٧ أن آثار العراق قد آلت إلى بريطانيا, فاستولت على جميع المواقع الأثرية, وصادرت جميع الأثار ونقلها إلى المتحف البريطاني في لندن, وفي عام ١٩٢٢ أرسلت بريطانيا بعثة مشتركة بريطانية –أمريكية يرأسها الأثاري ليونالد وولي إلى مدينة أور الأثرية واستمر العمل لغاية عام ١٩٣٤ محققاً نجاحاً آثارياً كبيراً على صعيد الكشف الآثاري لما يحتويه ذلك الموقع من آثار قيمة أبرزها اكتشاف المقبرة الملكية وما ضمته من كنوز قيمة ورائعة تعد واحدة من أثمن وأروع كنوز العراق الأثرية (عبدالرحمن ، وآخرون، ٢٠٢٠، الصفحات ١١٠-١١١).

وإشارة إلى ما تقدم نجد أن من أهم الأسباب والدوافع الخفية التي كانت وراء ذلك السباق الغربي في الوصول إلى مدن العراق القديمة واستخراج نفائسها من الكنوز وتخريب معالمها بشكل مقصود, أنه روح الحقد اليهودي على العراق وتاريخ العراق وحضارته بدفع من جمعيات يهودية متسترة بلباس العلم والبحث العلمي ومنها (جمعية أقطار الكتاب المقدس) التي كانت تريد من المعلومات التي وردت في الكتاب المقدس, ولا سيما ما يتعلق بالأشوريين والبابليين وطبيعة علاقتهم باليهود, وفي الوقت نفسه، أسهمت المصالح الاقتصادية والاستراتيجية للدول الغربية في تعزيز حضورها في العراق، فالموقع الجغرافي للعراق وارتباطه بطرق التجارة والمواصلات، فضلاً عن أهميته في الحسابات البريطانية تجاه الخليج والهند، جعلا النشاط الأثري جزءاً من سياق أوسع من التوسع والنفوذ الغربي, أما العامل العلمي، فقد تمثل في الرغبة في اكتشاف حضارات الشرق الأدنى القديم وفك الكتابات المسمارية وإعادة بناء تاريخ بلاد الرافدين، وقد أسهمت الاكتشافات في نينوى ونمرود وخورسباد وبابل في تطور الدراسات الآشورية والبابلية وفي إثراء المتاحف والمؤسسات العلمية الأوروبية.

الخـاتمـة

١- في ضوء ما تقدم، يتضح أن الاهتمام الغربي بالآثار العراقية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين لم يكن ناتجاً عن عامل واحد، وإنما جاء نتيجة تداخل مجموعة من الدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية.

٢- أسهمت الرغبة في التحقق من الروايات الدينية والتاريخية في توجيه أنظار الرحالة والباحثين الغربيين نحو العراق، في حين ارتبطت التنقيبات الأثرية بالمنافسة السياسية بين الدول الأوروبية وسعيها إلى تعزيز نفوذها ومكانتها في المنطقة.

٣- كان للمصالح الاقتصادية والاستراتيجية دور واضح في زيادة الاهتمام بالعراق، نظراً لموقعه الجغرافي وأهميته في طرق المواصلات والتجارة، فضلاً عن ارتباطه بالمصالح الاستعمارية للدول الغربية.

٤- أسهم الدافع العلمي والثقافي في تطوير الدراسات الخاصة بحضارات بلاد الرافدين، ولاسيما الحضارتين الآشورية والبابلية، وأسهم اكتشاف المواقع الأثرية والكتابات المسمارية في إعادة بناء جانب مهم من تاريخ العراق القديم .

٥- أسهم الاهتمام الغربي في الكشف عن جانب مهم من حضارة العراق القديمة وإبراز مكانتها في تاريخ الحضارات الإنسانية، إلا أنه كشف كذلك عن تداخل المعرفة الأثرية مع المصالح الدولية خلال تلك المرحلة، الأمر الذي يجعل دراسة الدوافع الكامنة وراء هذا الاهتمام أمراً ضرورياً لفهم طبيعة النشاط الأثري الغربي في العراق ونتائجه بصورة أكثر موضوعية وتوازناً.

References

1- Bernhard, M. (2005). Reclaiming a Plundered Past: Archaeology and Nation Building in Modern Iraq. University of Texas Press, United States of America.
2- Mallowan, M. (1960). Sir Leonard Woolle.
3- Ziolkowski, T. (2012). Gilgamesh Among Us: Modern Encounters with the Ancient Epic. Cornell University Press, Ithaca and London.
4- Hoerth, A. (1998). Archaeology and the Old Testament. Baker Academic, Michigan, USA.
5- Wikipedia. “Edward Hincks.” Accessed July 15, 2026. https://ar.wikipedia.org/wiki/إدوارد_هينكس
6- Ziolkowski, T. (2012). Gilgamesh Among Us: Modern Encounters with the Ancient Epic. Cornell University Press, Ithaca and London, USA.
7- Al-Jubouri, M. A. (2012). “The Role of Western Diplomats in Looting the Antiquities of Iraq and Destroying Its Cultural Heritage.” Kirkuk University Journal for Humanities Studies, Vol. 7, No. 3.
8- Inas Saadi Abdullah. (2014). The Modern History of Iraq, 1258–1918. Adnan Publishing and Library, Baghdad.
9- Bahnam Abu Al-Souf. (1985). “The Role of Archaeological Excavations in Revealing the Civilization of Ancient Iraq.” In The Encyclopedia of Iraqi Civilization, Vol. 1. Dar Al-Jil, Beirut.
10- Abu Bahnam Al-Souf. (1992). Shadows of the Ancient Valley. The Small Encyclopedia. Ministry of Culture and Information, General Directorate of Cultural Affairs, Baghdad.
11- Bahnam Abu Al-Souf. (2009). History from Beneath the Earth: Antiquities, Civilizations, and Fieldwork. Al-Adib Company Press, Amman.
12- Taqi Al-Dabbagh. (n.d.). Methods of Archaeological Excavation. University of Baghdad, College of Arts.
13- Jaber Khalil Ibrahim. (1991). “Archaeological Activities: Excavation of Antiquities.” In The Cultural Encyclopedia of Mosul, Vol. 1. Mosul.
14- Jean-Claude Courtois. (n.d.). *The Archaeology of Mesopotamia*. Translated by Yusuf Habbi. General Directorate of Cultural Affairs, Baghdad.
15- Hamid Al-Shammari. (2013). The Theft of a Civilization of Clay and Stone. Adnan Publishing and Printing House, Baghdad.
16- Sami Saeed Al-Ahmad. (1991). “Iraq in the Writings of the Greeks and Romans.” Journal of Oriental Studies, No. 5, Baghdad.
17- Seton Lloyd. (1936). The Archaeology of Mesopotamia from the Paleolithic Age to the Persian Occupation. Translated by Sami Saeed Al-Ahmad. Baghdad: Al-Rashid Publishing House.
18- Shaimaa Waleed Abdulrahman and Amin Abdulnafi Amin. (2020). “The City of Ur in Light of Archaeological Excavations.” Al Malwiya Journal for Archaeological and Historical Studies, Vol. 7, No. 19.
19- Salah Mahdi Al-Saeed. (2016). Babylon in the Accounts of Travelers. Babylon: Dar Al-Furat for Culture and Media, Iraq.

20- Taha Baqir. (2009). An Introduction to the History of Ancient Civilizations. Dar Al-Warraq for Publishing, Beirut.
21- Ali Afifi Ali Ghazi. (2023). “The Antiquities and Inscriptions of Iraq and the Arabian Peninsula in Light of the Writings of Western Travelers.” Journal of Antiquities and Inscriptions, Vol. 1, No. 1.
22- Omar Jassam Al-Azzawi. (2014). “The Theft of Iraqi Antiquities in the Nineteenth Century AD.” Afaq Al-Thaqafa wa Al-Turath Journal, Year 22, No. 87.
23- Fuad Safar. (1948). Scientific Excavations in Iraq, Vol. 2. Shirka Al-Tiba'a Al-Mahduda, Baghdad.
24- Qahtan Rashid Saleh. (1987). The Archaeological Gazetteer of Iraq. Dar Al-Kutub for Printing and Publishing, University of Mosul.
25- Claudius James Rich. (2008). The Journey of Rich, the British Resident in Iraq in 1820, to Baghdad, Kurdistan, and Iran. Translated by Baha Al-Din Nouri. Arab Encyclopedia Publishers, Beirut.
26- Kedar Abdul-Wahab. (2017). “The Flood of Noah, Peace Be Upon Him, through Archaeological Research in Iraq.” Historical Issues Journal, No.8.
27- Mahmoud Abbad Mohammed. (2012). “The Role of Western Diplomats in Looting the Antiquities of Iraq and Destroying Its Cultural Heritage.” Kirkuk University Journal for Humanities Studies, Vol. 7, No. 3.
28- Marwa Zuhair Ali Al-Nahhas. (2011). Henry Layard, His Archaeological Activities and His Political Role in Iraq, 1817–1894. Unpublished Master's Thesis, University of Mosul, College of Arts.
29- Maysaa Louay Abdullah. (2004). The Impact of Western Archaeological Expeditions on Excavating the Antiquities of Iraq up to 1939. Unpublished Master's Thesis, Al-Mustansiriyah University, College of Education.
30- Nael Hannoun. (2007). The Truth about the Sumerians and Other Studies in Archaeology and Cuneiform Texts. Dar Al-Zaman for Printing and Publishing, Damascus.